

## وأدرکت أخيراً ! دولة بنت محمد الكنانی



كنتُ أقرأ في كتب اللغة والأدب لأنعم بثناءٍ لفظيٍّ، وتُرف بلاغيٍّ، فأرى أحرفي تسيّر بخطى ملكية، ورسائلي بهيئة تكسوها الحل البديعية بريقها الخاص، ورونقها المميز، ومازلت على هذا الحال ألمم جواهر الألفاظ، واقتنص الفريد منها بعين الحبّ.

وكتاب تلو كتاب حتى أخرج الأدب روحه لي وأطلعني على مكنونه وعظيم دوائله، فتعمقت في روحه حتى سمعت في نبضه مروءة العرب في الجاهلية، ورفعتهم وعزتهم في الإسلام، وفضائلهم ومدائحهم وغزلهم في البلاط الأموي، ونثرهم المتنوع والراقي في عصرهم العباسي، ورقة ألفاظهم وترفهم الوصفي وموسيقى القوافي في رياضهم الأندلسية، وسمعت في خفقاته الخمريات، والأراجيز، والموشحات....

روح الأدب ليست أشعاراً ولا نثرًا ولا ألفاظًا منمقة ومبهرجة فقط، بل تاريخ أمة يحكي أخبارها، مواقفها، فضائلها، محاسنها، حميد خصالها، فعالها...

إنما الأدب أخلاق سامية تتحلّى بها، ثم تسمو في سماء كلماتك، وتزهر بها صفحاتك وإلا ستكون كمحسن بديعي يزين الألفاظ وخلوه منها لا يؤثر في جوهر المعاني!

لقد أدركت أخيراً، أن من معاني الأدب أن تتأدب بفعلك قبل أن يبدع قلمك.

وفيما قيل في الأدب:  
ثلاثة أمور تزيد المرء إجلالاً : الأدب، والعلم، والخلق الحسن.  
وقيل في معنى الأدب:  
الأخذ بمكارم الأخلاق.